

الفكر الاسلامي وأثره في فلسفة موسى بن ميمون وتطور التقاليد اليهودية

عبد العزيز بن عبد الله

لم تعرف الأندلس شخصية يهودية جمعت بين الفكر العلمي والفكر الفلسفي قبل موسى بن ميمون Maïmonide الذي تتلمذ لابن رشد المعلق الأول لأرسطو والطبيب الفذ الذي ما زال تمثله قائما بجامعة مونبيلي بفرنسا كعنوان على أستاذه لأوروبا في هذا المجال وفي غيره.

وقد ولد ابن ميمون موسى بن يوسف بن إسحاق أبو عمران Maïmonide القرطبي عام 530 هـ/1135 م في الوقت الذي كان الصراع قائما بين آخر ملوك المرابطين وعبد المومن بن علي الموحي الذي انبرى بعد أربع سنوات (عام 534 هـ) لتحقيق انتفاضة استكملت الوحدة مع الأندلس غب عقد من السنين أي عام 543 هـ، حيث قدم وفد أندلسي

برئاسة القاضي أبي بكر بن العربي المعافري دفين فاس إلى مراكش لتقديم بيعة العدو الشمالية باسم قرطبة. وكان عمر بن ميمون آنذاك ثلاث عشرة سنة، تضاعفت فبلغت الست والعشرين عندما هاجر بكل ثقله إلى فاس، فدرس علوم الطب. وهذا يدل على مدى عمق الدراسات الطبية بالمغرب في ذلك العصر، ولعل ذلك يؤكد ما لاحظته مؤرخون غربيون من وجود مدرسة للطب بفاس في القرن الرابع الهجري، وما أثير عن هجرة العالم جيريير Sylvestre II (البابا سلفستر الثاني) أواخر هذا القرن. وبعد ذلك كانت لمصر كلية للطب عُيِّنَ عميدا لها ابن النفيس وهو مكتشف الدورة الدموية الصغرى أي الرئوية، في حين اكتشف ابن رشد الدورة الدموية الكبرى قبل ويليام هارفي William Harvey .

نعم انتقل موسى بن ميمون إلى فاس عام 556 هـ/1160 م بعد مرور سنة على قيام عبد المومن بتوحيد المغرب الثلاثة مع الأندلس وإقامة مركز جبل طارق الاستراتيجي سنة الأخماس (عام 555 هـ)، وإنشاء أول أسطول⁽¹⁾ في البحر المتوسط بعد سنة 557 هـ قبض على مقاليد السيادة البحرية في شِقِّي هذا الحوض شرقا وغربا.

ومع ذلك ظل التعليم اليهودي بالمغرب تقليديا يبدأ في مكان يشرف عليه الخبر أو الحزان وتلقن فيه مبادئ الدين — مثل الكتاب أو المسيد بالنسبة للمسلمين — كما تلقن في مرحلة ثانية للنخبة دروس عبرانية وتلمودية أصبحت تعزز منذ العهد المرابطي بالتبادل مع الأندلس، حيث أقيمت مراكز كاليسانة Lucena الواقعة بين قرطبة ومالقة، وأسست معاهد تلمودية عليا، مما أضفى على الحركة الثقافية اليهودية بفاس طابعا أكاديميا ساميا.

وقد سكن ابن ميمون بفاس الدار المعروفة بدار المجانة حسب وثيقة يهودية عثر عليها بفاس يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر الميلادي (2).

وكان لابن ميمون قبل المجيء إلى المغرب صلة وثيقة بابن رشد أستاذه الأكبر ومصدر إلهامه. ولعل لهذه الصلة ضلعا في ترغيب التلميذ ابن ميمون في الانتقال مع أستاذه إلى عاصمة المغرب الفكرية التي لقبها مؤرخون غربيون بعد ذلك بـ «أثينة افريقيا»، كما وصفوا جامع القرويين بأنه أول مدرسة في الدنيا ما زالت قائمة. وقد ظل الرجال عقودا من السنين ينهلان من معين المعرفة التي أصبحت تدعى بعد ذلك بالفلسفة الرشدية، والتي أثرت شكلا ومضمونا في الفكر الأوروبي من خلال مصطلحات عربية. وقد تزامن عُمر التلميذ ابن ميمون وأستاذه ابن رشد محمد بن أحمد الحفيد الذي توفي بمراكش عام 595 هـ/1199 م، أي قبل موسى بن ميمون بست سنوات فقط. وكانت للرجلين جولات بعيدة المدى في الجمع اليهودي العلمي الأندلسي باليسانة التي ما لبثت أن أضحت موئلا لبلورة المريج العربي العبري لفلسفة ابن رشد للأرسطوطاليسية التي تبناها ودعا لها ابن ميمون من منابر اليسانية، قبل أن يلتحق بفاس التي أمدت قرطبة ببعض رجالاتها مثل إسحاق بن يعقوب الكوهن الملقب بالفاسي، الذي ولد في قلعة ابن أحمد قرب فاس، وتوفي باليسانة عام 497 هـ/1103 م، وهو صاحب «شرح التلمود» في عشرين مجلدا بالعربية، وجامع ثلاثمائة وعشرين فتوى بالعربية حول التشريع التلمودي.

وهذه الشخصية الفاسية هي من الرجال الذين نقلوا إلى الأندلس معارف فاس منذ القرنين الثالث والرابع الهجريين، حيث تجمعت في اليسانة

جالية قرطبة الأموية، فبرزت في هذا المنتدى اليهودي شخصيات لامعة قبل موسى بن ميمون بقرنين على الأقل، إلا أن ثقافتها — عدا بعض الاستثناءات كانت أدبية فقهية أكثر منها علمية. ومن هؤلاء الرجال :

1. سهل بن بشر، أو بشير بن هانيء الاسرائيلي المتوفي عام 235 هـ/850 م، وهو صاحب « نواذر القضاء »⁽³⁾.

2. حسداي بن شبروط المولود عام 307 هـ/915 م، وكان سفيرا للخليفة الأموي الناصر لدين الله، أوفده عام 344 هـ/955 م إلى ليون León لدى الأمير أوردونيو الثالث (Ordonio III)، وحصل بعد ذلك على رتبة (ناسي) أي أمير الجالية اليهودية بالأندلس.

3. مناجم بن سروق الطرطوشي جليس الخليفة عبد الرحمن الثالث ومعلم أولاده، المتوفي عام 360 هـ/970 م، وهو صاحب معجم (محبيرة) حول الألفاظ العبرية المستعملة في التوراة.

4. مروان بن جناح القرطبي الذي عاش في اليسانة أيضا وهو شيخ نخاة اليهود، ولد عام 380 هـ/990 م بقرطبة، وعاصر الامام ابن حزم وهو صاحب كتاب « اللمع » في النحو العبري⁽⁴⁾.

إلا أن اثنين من هؤلاء امتازا باهتمامات فلسفية أو طبية وهما :

5. سليمان بن يحيى بن جبيرول، أو ابن جبرون (Avicbron)

المتوفي عام 450 هـ/1058 م، وكان من أشهر الفلاسفة الذين قاموا بتدريس الفلسفة الأفلاطونية الحديثة بالمغرب، وله كتاب «اصلاح الأخلاق» (5).

6. سمویل، أوصمویل (سموآل) بن یحیی بن عباس المغربي المعروف بابن یهودا المتوفي عام 570 هـ/1174 م، وهو صاحب «نزهة الأصحاب في معاشره الأحاب» (6)، ورسالة «بذل المجهود في إفحام اليهود» (1169 م/565 هـ). وقد بارح المغرب فأقام ببغداد واعتنق الاسلام بالمراغة (عام 558 هـ).

ولمؤرخ طليطلة وفيلسوفها إبراهيم بن داود المتوفي عام 576 هـ/1180 م دراسة فلسفية باللغة العربية معروفة باسم العبري ومعناه «الايان العلوي»، وكان في طليعة من أخذ بالمذهب الأرسطاطاليسي قبل موسى بن ميمون (7).

وكان يهود الأندلس ينظمون موشحات بالعربية على غرار مواطنهم العرب، ثم دخل العنصر الدارج في هذه الموشحات فاختلط بالعامية العربية مع ألفاظ عبرية في شكل ملحون، ومن هذه الموشحات ما نظمه إبراهيم بن سهل الاسرائيلي المتوفي عام 649 هـ/1251 م بعد الانتفاضة الميمونية (8).

وفي خضم البلورة الميمونية الرشدية أمسى التعليم مشتركا بالأندلس، ومعنى ذلك حضور طلبة مسلمين ويهود ونصارى في درس واحد كما وقع في بياسة Baeza عام 553 هـ/1158 م حيث كان عبد الله بن سهل الغرناطي يلقي دروسا مشتركة للجميع (9). وكانت العربية لغة التدريس في معاهد

النصارى واليهود بالأندلس في عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل (10) حيث لم يأل الملوك الأمويون جهداً في تعريب الفكر العبري والمسيحي ليكون في متناول الجميع دعماً للوحدة المعرفية. فقد اعترفت الموسوعة اليهودية (11) بأن يوسف بن أبي ثور المتوفي بدمشق عام 403 هـ/1012 م قام بترجمة كاملة للتلمود إلى العربية بطلب من الحكم الثاني الخليفة الأموي بالأندلس (340/366 هـ/961/976 م)، وهو خريج مدرسة قرطبة.

والتلمود مجموعة تقاليد أحبار اليهود يؤولون بها قانون سيدنا موسى. ويحتوي التلمود على قسمين: «المشنا» وهي مدونة التقاليد الشفوية و«الجمارة» وهي التعليقات على المشنا. وقد كتب هذا القانون الموصوف بالشفوي «رني يهود هاناسي» حوالي 200 عام قبل الميلاد.

وهذه المعرفة التلمودية قد دعمها بالأندلس بالإضافة إلى الخليفة الأموي يهود أثرياء، خاصة باليسانة التي كانوا يمنعون غيرهم من الدخول (12) إليها، ومع ذلك فقد سمح لابن رشد بالتدريس في معاهدها بعد انتقاله من مراكش حيث كان إعجاب الاسرائيليين به كبيراً، وقد نشروا فلسفته في أوروبا لا سيما إيطاليا وفرنسا بعدما أجبروا على الخروج من أسبانيا.

نعم كان لكتب ابن رشد أثر قوي في تكيف اتجاهات علماء اليسانية عامة وابن ميمون خاصة، ونكتفي منها بذكر:

1. كتاب «تهافت التهافت» الذي رد به ابن رشد على «تهافت الفلاسفة» للغزالي، والذي يركز الفكر الفلسفي في عمق ووضوح هذا

ابن ميمون إلى تبنيه ونقله للأجيال اليهودية.

2. كتاب « الكليات » في الطب ⁽¹³⁾ Colliget .

وكان مدار اعتماد ابن ميمون في محاولة التوفيق بين الدين والفلسفة على كتاب ثالث لابن رشد هو « فصل المقال في الموافقة وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » ⁽¹⁴⁾ مما حدا ابن ميمون إلى إصدار كتابه « دلالة الحائرين » Le guide des égarés لتحديد الأركان الثلاث عشرة للديانة، فكان مرجعا للفكر الموسوي طوال مدة مساره ابتداء من القرن الثالث عشر قبل الميلاد. و « دلالة الحائرين » هذا عبارة عن كتاب من ثلاثة أجزاء صنف أصالة باللغة العربية ثم كتب بالحروف العبرية ونشر قسم منه بالحروف العربية بعنوان « المقدمات الخمس والعشرون ».

وقد أمسى هذا المجموع منذ القرن السادس الهجري مدونة الفكر اليهودي حتى كان المسلمون أنفسهم يرجعون إليه للتعرف على القانون الموسوي، فكان ابن هود المرسي الحسن بن عضد الله الفيلاسوف الطبيب يقرئه لليهود (وقد توفي بدمشق عام 699 هـ/1299 م). وهكذا تركزت أسيسة الفكر الفلسفي والعلمي والديني اليهودي في نتاج ابن ميمون تلميذ ابن رشد، فأصبح عصر موسى بن ميمون يعتبر عهدا فاصلا في تاريخ اليهودية، وقد عثر بفاس على مخطوط يسمى « التواريخ » بخط أندلسي يرجع تاريخه الى القرن التاسع عشر ⁽¹⁵⁾ يضم خلاصة تاريخية ألفها « سيديا بن دنان » حبر فاس المتوفي عام 899 هـ/1493 م، كما تضم ملخص تاريخ نقل النظرية اليهودية منذ سيدنا موسى عليه السلام إلى موسى بن ميمون وهو

بالعبرية مع شرح بالعربية الفصحى مقتبس من مذكرات عشر من تأليف أحبار فاس من القرن السادس عشر إلى التاسع عشر، أي طوال ثلاثة قرون. وقد حررت هذه المعلومات بلهجة يهود فاس أي خليط من العربية والعبرية.

كل ذلك يزيدنا يقينا بأن الصلة بين يهود الأندلس ويهود فاس لم تكن وليدة القرن السادس بل كانت لها جذور عميقة الغور منذ أوائل العهد الادريسي، إلا أنها اتسمت في العصر الموحدى، أي في العهد الرشدي الميموني بطابع جديد. فقد انطلق التبادل بين العدوتين وخاصة قرطبة وفاس بمجرد تأسيس الحاضرة الادريسية بين عامي 185 و 192 هـ. وقد قام الأدارسة منذ أسسوا أول مملكة بالمغرب استمرت أزيد من اثني عشر قرنا بحماية اليهود طوال قرنين⁽¹⁶⁾ مكنتهم من الهجرة زرافات ووحدانا الى فاس إثر اعتلاء المولى إدريس أريكة العرش عام 188 هـ/803 م متواردين من القيروان ومصر وبابل وفاس. وكانت قد انبثقت بالقيروان قبل ذلك حركة فكرية تلمودية ما لبثت أن ازدهرت بفاس في العهد المرابطي الموحدى، مما يرر مقولة البكري⁽¹⁷⁾ من أن مدينة فاس أصبحت « أكثر بلاد المغرب يهودا يختلفون منها إلى جميع الآفاق ».

وكان من بين الثمانمائة عائلة أندلسية التي هاجرت من قرطبة إلى فاس عام 199 هـ/814 م خاصة بعد « وقعة الرض » يهود أسهموا في تركيز الاقتصاد المغربي، لا سيما بعد أن تأسست أول قيسارية بفاس عام 391 هـ/1000 م، كما شاركوا في الانتفاضة الفكرية في أبرز عصور النهضة بفاس وهو القرن الرابع الهجري حيث تحرك جامع القرويين كجامعة انحدر إليها طلبة من جميع أنحاء إفريقيا والعدوة الشمالية. وقد امتزج الفريقان في

محبوحة العاصمة الادريسية رغم طابعها الديني، فتساكنا في احترام متبادل حول الجامع الأكبر والضرخ الادريسي، وظلت فاس الملجأ الوحيد لليهود الذين نزحوا قسرا عن مواطن أجدادهم بالأندلس، فأصبح عصر ابن ميمون العهد البارز في هذه الهجرة بعد أن قلصت المجامع الكنسية في طليطلة (18) عامي 589 و 633 هـ قانون الأحوال الشخصية لليهود وحرّمهم ملوك طليطلة الأسبان من شغل مناصب عمومية فانضموا الى صفوف المسلمين ضد القشتاليين، وكان سقوط طليطلة في يد الأسبان عام 496 هـ/1102 م (19) وذلك للمرة الثانية بعدما حررها المرابطون. عام 483 هـ/1090 م (20). فالعامل الأساسي الذي أخذ بتلايبب يهود المغرب وإخوانهم المهاجرين هو الحرية التي نعموا بها في ظل الاسلام في أشد العصور تزمتا وتعصبا، وهما العصران المرابطي والموحدي، بل إنهم كانوا في هذه الفترة بالذات — وهي فترة انتقال زعيمهم ورائدهم ابن ميمون الى فاس — أكثر أمنا على أنفسهم فلم يكن هناك « ملاح » يفصل اليهود عن غيرهم، بل كان اليهود مختلطين مع مواطنيهم المسلمين دارا بجنب دار، وحوهم المساجد والبيع. وقد لوحظ ذلك بفاس ومراكش حول جامع القرويين ومسجد المواسين حيث ازدهرت حارتان يهوديتان، اشترى المخزن جزءا منهما لتوسيع المسجدين، وظل اليهود قاطنين بجانبيهما وما طالب المغاربة المسلمون اليهود قط باعتناق الاسلام. وقد لاحظ « إيلي مانصانو » (21) أن علماء فاس قرروا توجيه مذكرة تحمل اليهود على التمسك بتعاليم دينهم وبتقاليدهم كشرط لصلاحتهم. ولعل هذه الظاهرة فريدة من نوعها في تاريخ تعايش الأديان هذا، بينما حاول مسيحيون — حسب مندوصا (22) « تمسيح اليهود في مواعظ بمنزل (فرانسيسكو) (23).

وتقدير الاسلام للتقاليد والطقوس اليهودية عبر مختلف الأنظمة الملكية بالمغرب منذ اثني عشر قرنا كان واقعا لم يحظ بمثيله في أي بلد من بلدان أوروبا، وقد ظل الاشراف على القضاء الجنائي بفاس — في الوقت الذي تم الغاؤه بالأندلس — في يد شيخ يهودي منتخب، في حين بقي القضاء الديني بخصوص الأحوال الشخصية تابعا لمحكمة الأعبار. وقد وصف هذا الهيكل القضائي الحرّ في القرن العاشر الهجري الحسن بن محمد الوزان (ليون الافريقي) (24) ومع ذلك فقد لاحظ مؤرخون يهود، منهم سامويل بن شاول ابن دنان (25)، أن ألفا من يهود فاس اعتنقوا الاسلام عام 1137 هـ/1724 م طواعية، فعُرفوا بالاسلاميين ويعرفون أيضا بالمسلمانيين. وقد غلب استعمال الكلمة الأولى بالمغرب حيث توجد باب في « ملاح » فاس عرفت بباب الاسلاميين (26) ولم يتدخل المخزن لا ترهيبا ولا ترغيبا في كل ذلك، بل ظل المغرب مفتوح الأبواب للدعاة اليهود، إذ لاحظ « سيماخ » أن الرحالين اليهود الذين زاروا المغرب في مختلف العصور كانوا يجدون الرحب السهل حيثما حلوا وارتحلوا، وكانوا يشاركون بكامل الحرية في الحفلات والمهرجانات والصلوات، ويلقون دروسا تلمودية على طلبة الجاليات. ومن جملة الرحالين بنجمان الطليطلي Benjamin de Tolède الذي طاف على طول سواحل البحر الأبيض المتوسط من عام 561 هـ/1165 م إلى عام 569 هـ/1173 م في عنفوان العهد الموحيدي.

إلا أن هذه الحرية كانت تعثرها غيوم عابرة، فقد كان يهود العدوتين عرضة في بعض الأحيان لحملات تعسفية حيث قام العالم ابراهيم بن مسعود بن سعيد التجيبي الالبيري بحملة ضد يهود غرناطة عام 459 هـ/1067 م، كما فعل العالم المغربي محمد عبد الكريم المغيلي في القرن

العاشر ضد يهود المملكة، إلا أن علماء فاس قاموا ضده قومة رجل واحد منتصرين لمواطنيهم اليهود في انتفاضة جماعية أسهم فيها شيوخ جامع القرويين أمثال الامام ابن زكري أكبر علماء عصره وثلة من رجالات الفكر البارزين كعبد الله بن أبي بكر العصنوني المتوفي عام 927 هـ/1521 م، وقد أدى ذلك إلى طرد المغيلي من فاس لمجرد موقفه العدائي من اليهود (27).

وهكذا أمست حاضرة فاس التي خلفت قرطبة والقيروان مشتلا للفكر اليهودي امتدت إشعاعاته إلى مراكز العالم، خاصة ببغداد والقاهرة، حيث كانوا ينتقلون لنشر معارفهم التلمودية وتركيز تقاليدهم الدينية دون مراقبة أو تحجير، لأن الاسلام لقن لذويه ولغيرهم المفهوم الحقيقي لحرية الفكر وحرية الدين. وفي هذا النطاق كانت الوصلة وثيقة بين فاس والأكاديميات « الربية » في الشرق، ولعل من أبرز نتائج هذه الحركة المكوكية الحرة أن توازن عدد السكان ظل قارا بين المهاجرين إلى فاس والمنطلقين منها للتبادل المعرفي عبر العالم، فلذلك لم يتغير عددهم بفاس فكان نحو من خمسة آلاف على رأس الألف من تاريخ الميلاد. ولم يزد عام 1297 هـ/1879 م على 5 844 نسمة حسب المؤرخ الاسرائيلي « سيماخ » (28)، أي بقي هو هو طوال ألف عام وإن كان هذا العدد قد ارتفع إلى ثلاثين ألفا في بداية القرن العشرين، إذا صدقنا ما قاله « ميكن » (29) حيث أوصل مجموع سكان فاس إلى 150.000 متناقضا مع نفسه في كتابه الآخر (30) الذي اقتصر فيه على مائة ألف نسمة.

وفي هذا الوسط الفاسي المشبع حرية وتفتحا اندمج ابن ميمون، فتظاهر بالاسلام وحفظ القرآن وتفقّه بالمالكية حسب كثير ممن ترجموا

حياته (31)، ثم اختار الهجرة الى مصر لنشر الفكر اليهودي الجديد فعاش بالكنانة إلى أن توفي عام 601 هـ/1204 م فكانت رحلته الى بلاد الكنانة مثارا لرحلات أخرى نذكر منها ما أشار إليه القفطي من أن يوسف بن يحيى ابن إسحاق بن سمعون الطبيب الرياضي الفاسي ارتحل إلى مصر للاجتماع بابن ميمون (32).

والظاهرة الثانية - بعد تشجيع علماء الاسلام لتطور التقاليد اليهودية - هي أن اللغة العربية بقيت أزيد من ألف عام أداة للتعبير لدى علماء اليهود تدريسا وتأليفا. وقد علل ابن خلدون ذلك بأن يهود الشمال الافريقي كنعانيون أخرجهم العبريون من فلسطين.

وأشار الى ذلك القديس أوغسطين St. Augustin في كتابه حول اليهود قبل القرن الخامس الميلادي، ولذلك ظلت لغة يهود المنطقة على سعتها هي اللغة البونية أي اللهجة العربية الممزوجة بالبربرية. وقد استنتجنا من دراستنا لكتابة حجرية عثر عليها بالبرازيل تحمل تاريخ 125 قبل الميلاد أن هذه اللغة البونية لا تختلف كثيرا عن اللهجة العامية اليوم في المغرب (33).

فلا بدع إذن أن يكون المغارب الثلاثة مسرحا لنشاطات علمية خاض غمارها اليهود والمسلمون معا من خلال اللغة العربية. فقد استعمل اليهود اللغة العربية في كتاباتهم ومحاوراتهم منذ القرن الثالث الهجري في مجموع افريقيا الشمالية (34). كما أصبح « كتاب سيويه » في النحو منطقا لتجديد النحو العبري بفاس خلال القرن الرابع كما يؤكد ذلك ماسينيون (35). (Massignon). وقد اقتبس يحيى (يهودا) بن داود حيوج

الفاسي آنذاك نظرية القياس من سيبويه، وعلى ضوءها وضع « كتاب التنقيط » حيث بين الأحكام النحوية لتوزيع الحركات والسكون في الألفاظ العبرية، وله كتابان آخران هما « كتاب الأفعال ذوات المثليين » و « كتاب الأفعال ذوات حروف اللين » (36).

كما ولد « دونس بن لبراط » بفاس عام 380 هـ/990 م (وهو غير دونس بن تميم)، وتبحر في علوم العربية وتابع آثار سيبويه وشيخه الخليل بن أحمد الفراهيدي، ومنه أخذ العروض فأدخله الأدب العبري ففجرا ثورة أدبية في عصره الذي سمي عصر الشعراء، فظهر شعر عبري على نسق القصيد العربي.

وليهودا بن قريش « معجم » مرتب على الحروف الألفبائية بناء على تجريد الألفاظ من الزوائد والابقاء على حرفين يرى أنهما عصب المادة وهو مذهب الشائية في تصريف الألفاظ العربية مقابل الثلاثية الواضحة في أعمال سيبويه وتلاميذه. وقد ارتكزنا على النظريتين معا فأبرزنا الشبه القائم بين العديد من الكلمات الأصلية في بعض لغات العالم وأصدرنا معجمين في الموضوع بخصوص الانجليزية والفرنسية مع التنظير بالعربية (راجع مجلة اللسان العربي).

ويعتبر داود بن إبراهيم الفاسي أشهر اللغويين القرائين من اليهود، نزل بمصر في القرن العاشر الميلادي، وهو صاحب كتاب « جامع الألفاظ » وهو معجم أبجدي عبري مشروح بالعربية يحتوي على ما يشهد بأثر النحو العربي في النحو العبري (37).

وكانت مصنفات علماء المغرب من المسلمين المحرة بالعربية يكتبها اليهود بحروف عبرية ككتاب «الاقتصاد» لأبي مروان عبد الملك بن زهر الذي كان أعظم من ابن سينا في الطب حسب «لوكلير» (Lucien Leclerc). وكان ابن رشد يفضل على غيره من علماء عصره. وابن زهر هذا هو الذي زعم المؤرخ «كودار» واهما أنه يهودي، حذاه إلى ذلك وفرة مظاهر التواصل بين الطرفين (38).

ولعل من الأسباب التي جعلت حاضرة فاس تستقطب أكبر عدد من يهود العالم ما أشار إليه علي بن ميمون عندما وازن بين فاس وحواضر في الشام والحجاز ومصر والعراق من حيث الأصالة العلمية فقال : « ما رأيت مثلها (أي فاس) ومثل علمائها في حفظ نصوص كل علم مثل النحو والفرائض والحساب وعلم التوقيت والتعديل والتوحيد والمنطق والبيان والطب وسائر العلوم العقلية ». ولذلك ظل يهود المغرب يدرسون العربية ويكتبون بها على غرار يهود الأندلس حيث انتهى «يهودا بن نسيم بن مالكا» الفيلسوف المغربي عام 1365 م من تأليف كتابه بالعربية «أنس الغريب» (39)، وكذلك شيخ التعاليم بفاس «خلوف المغيلي»، المولود في مغيلة بأحواز فاس، والذي نزل عنده أبو عبد الله الآبلي العبدري شيخ ابن خلدون قبل أن يرحل إلى ابن البنا بمراكش (40).

وقد تعزز هذا التأثير الاسلامي في الفكر والتقاليد اليهودية بمظاهر شتى اتسمت بها الحياة الوديعية بالمغرب فكانت لا تكاد تميز في المجتمع المغربي وداخل الحي الواحد بين المواطنين من مسلمين ويهود. وقد لوحظ أن كثيرا من الأسماء كانت مشتركة بين الفريقين مثل «عطية» و «عمران»

علاوة على عشرات أخرى. ومن حمل ذلك من العلماء الشاعر أبو جعفر بن عطية، والحافظ عبد الحق بن عطية، والوزير أحمد بن محمد بن عطية، والعالم الحسن بن عثمان بن عطية الونشريسي شيخ ابن الخطيب، والأمير الزناتي زيري بن عطية المتوفي عام 391 هـ/1000 م⁽⁴¹⁾. وقد شارك ملوكنا في دعم الاندماج الفكري بين الطرفين حيث ورد⁽⁴²⁾ أن السلطان السعدي مولاي عبد المالك كان متضلعا في « علوم الزبور » كما أن⁽⁴³⁾ سفينة انجليزية نقلت إلى العرائش عام 970 هـ/1562 م ستة وعشرين صندوقا محملة بكتب الزبور. وقد استمر ذلك إلى ما قبل انبثاق العهد الاستعماري الأوروبي في القرن الخامس عشر الميلادي على إثر النفي العام من الأندلس حيث توافدت على المغرب فلول من يهود غرناطة وغيرها فرارا من اضطهاد رجال التفتيش المسيحيين، فعززوا الحركة الفكرية العبرية والتلمودية، والتحق بهم يهود آخرون طردوا من إيطاليا عام 1242 م، ومن إنجلترا عام 1290 م، ومن هولندا عام 1350 م، ومن جنوب فرنسا عام 1395 م، بالإضافة إلى فئات أخرى هاجرت من فرنسا وإنجلترا أيضا عام 1403 م. واتسع نطاق البيع والمدارس التلمودية⁽⁴⁴⁾ بفاس عاصمة الاسلام في افريقيا، وكانت هذه البيع مبنوثة بين الأهالي المسلمين وحول الجوامع والمساجد، لا في فاس وحدها بل في باقي الحواضر المغربية، إلا أن تسلل طوائف يهودية من أوروبا خلقت وضعاً جديداً بالمملكة اضطر معه المخزن حماية لليهود الجدد إلى عزلهم في ملاحات خاصة، ومع ذلك ظل الجميع ينعمون بالحرية والرغد في ظل حماية المخزن والشعب معا، ولا سيما العلماء الذين أصدر شيخهم الفقيه العربي بن محمد الهاشمي العزوزي الزرهوني المتوفي عام 1260 هـ/1844 م فتوى في حرية البناء لليهود «ملاح» فاس الجديد عندما منعوا لأسباب اجتماعية وصحية من تكديس دور جديدة⁽⁴⁵⁾ بحيمهم، وهذه الرعاية التي لم تلن قناتها طوال

تاريخ المغرب رغم بعض فترات معتمدة بشهادة كبار مؤرخي اليهود⁽⁴⁶⁾ هي التي تعلق - اذا كان ذلك يحتاج الى دليل - لماذا بقي اليهود المغاربة وفيين لمواطنتهم في تعاطف تلقائي مع باقي المواطنين، ويكفي أن نشير هنا إلى أن انتصار المغرب في وقعة وادي المخازن ضد البرتغال ومرزقة أوروربا كان مثار ابتهاج اليهود الذين أقاموا حفلات صادفت اليوم الثاني من استهلال ايلول عام 5338 من التاريخ العبري. وقد تعهد الأخبار منذ ذلك بالاحتفال بهذا اليوم كيوم خلاص (بوريم)⁽⁴⁷⁾.

وهكذا يتجلى من عرضنا هذا المقتضب مدى تأثير الفكر الاسلامي في فلسفة موسى بن ميمون ونتاجه العلمي وفي تطور التقاليد اليهودية خاصة من خلال تعاليم ابن رشد الأندلسي المغربي وفي نطاق حواضر اسلامية هي القيروان وقرطبة وفاس.

المراجع :

نذكر منها بالاضافة الى ما أشرنا إليه في الهوامش :

- (1) راجع تاريخ افريقيا الشمالية لأندري جوليان.
- (2) Chronique Sémach, p. 83
- (3) توجد نسختان منه في المكتبة العامة بالرباط عدد 2060 د/2147 د.

- (4) مخطوط بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم 1992 د.
- (5) نشر في نيويورك عام 1901 م، والأفلاطونية الجديدة هي التي تزعمها أفلوطين Plotin المصري في المدرسة الاسكندرية في القرن الثالث الميلادي.
- (6) كتاب في الطب توجد نسخة منه في مكتبة دبلن، تشستر — بيتي، 4151 (118 ورقة) في لاهاي.
- (7) الموسوعة البريطانية ج 1 ص 60.
- (8) راجع مكتبة برلين (عدد 8172).
- (9) الاحاطة لابن الخطيب، ص 222 (مخطوطة الاسكوريال عدد 1673).
- (10) دولة الاسلام في الأندلس، لمحمد عبد الله عنان، القاهرة، 1943، ص 224. الأدب العربي وتاريخه، محمود مصطفى، القاهرة، 1937، ج 3 ص 45.
- (11) ورد في هذه الموسوعة (1905) أن إبراهيم بن داود ذكر ذلك في « سفر القبالة » (أي التصوف) (طليطلة 1161).
- (12) الشريف الادريسي، وصف إفريقيا، ص 205 — مسلمو اسبانيا — دوزي م. 3 ص 158 .
- (13) مخطوطة مكتبة مدريد عدد 132 مكتبة بترسبورغ عدد 124، وقد طبع بالعرائش عام 1939 .
- (14) رسالة « فصل المقال » مرفقة بضميمة النص العربي وترجمته مع هوامش ومقدمة بقلم ليون كوثي Léon Guathier، الطبعة الثالثة، الجزائر، ص 54.
- (15) راجع هذه النصوص في مجلة هسپيريس Hesperis (3 — 4) عام 1958 ص 310.
- (16) كما اعترف بذلك حبر الجزائر الأكبر موريس ايزانبيث Maurice Esenbeth
- (17) البكري : « المسالك والممالك ».
- (18) ضبطها الحميدي بضم الطائين وفتح اللامين.
- (19) نفع الطيب ج 6 ص 190.

- (20) الاستقصا ج / ص 120 .
- (21) مجلة هسبريس 1949، وثيقة 28
- (22) Jeronimo de Mendoza, Jornade de Africa, Lisboa, 1607
- (23) Francisco du Portugal
- (24) وصف افريقيا ج 2 ص 165 .
- (25) مجلة هسبريس 1949 ص 162، وثيقة رقم 24.
- (26) مجلة هسبريس 1948، وثيقة يهودية رقم 12 بقلم شاويل سيهررو.
- (27) عباس بن ابراهيم المراكشي : الاعلام بمن حل مراكش... ج 4 ص 125 الطبعة الأولى.
- (28) Semach, Chronique, p. 87
- (29) Budget Meakin, The Moors, p. 5
- (30) The land of the Moors, p. 252
- (31) طبقات الأطباء 22 ص 117 — ابن العربي 417 — أخبار الحكماء 309 — ولفنسون صاحب كتاب موسى ابن ميمون في سيرته وفلسفته — بروكلمان ج 1 644، الملحق ج أ ص 893 .
- (32) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ص 158 .
- (33) راجع كتابنا « وحدة اللغات » تحت الطبع.
- (34) كودار Godard : تاريخ المغرب ج 2 ص 453.
- (35) مؤتمر مجمع اللغة العربية : « مجموعة البحوث والمحاضرات » : 1959 — 1960، ص 218 .
- (36) نشر هذه الكتب المستشرق « دوكس » عام 1844 والمستشرق « نت » عام 1870 .
- (37) حسن ظاظا — بحث حول أثر سيبويه في النحو العربي — مجلة اللسان العربي ص 12 — 98 .

- (38) في كتابه حول تاريخ المغرب ص 452 Godard
- (39) راجع مجلة هسبريس عام 1952 (402 — 458)، وعام 1965 الموافق لـ 5125 من السنة العبرية.
- (40) طبقات الشعرا ج 2 ص 215 .
- (41) راجع كتابنا « موسوعة الاعلام المغربية » ج 2 ص 63 .
- (42) وثائق دوكاستر De Castries — السعديون ق 2 ج 1 ص 225 (رسالة السفير الانجليزي « إدمون هوكان » إلى الملكة ايليزابيث ملكة إنجلترا).
- (43) الوثائق ج/1 ص 44.
- (44) حسبا رواه مؤلف Yahas Fès بالنسبة لعام/1508 .
- (45) شجرة النور ص 398 — الأعلام لعباس بن إبراهيم المراكشي ج 5 ص 253 الطبعة الأولى .
- (46) راجع معلمتنا حول اليهود باللغتين العربية والفرنسية وهي تحت الطبع.
- (47) هسبريس 1948 — وثيقة يهودية عربية رقم 5 .

المراجع

- Llomas Jose, Maïmonides, siglo XII, Madrid, 1936, p. 286, Aguilar.
- S. Glanzmann, Maïmonides y sus escritos medicos, Sefarad, 1946.
- D.H. Baneth, Maïnide, traducteur de lui-même et ses traducteurs, Tarbiz, XXII°, 2, janvier 1951,
- B. Bokser, The Legacy of Maïmonides, Philosophical Library, New York, 1951 (128 p).
- H. Serouya, Maïmonide, sa vie, son œuvre, avec un exposé de sa philosophie. PUF, 1951 (152 p).